المتن

"وأما التفويض فمن المعلوم أن الله أمرنا بتدبر القرآن وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله - إلى أن قال ص118 -: وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه. بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه، قال: ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء.

الشرح

غريبة يعني أهل التفويض يقولون: إن اللي في القرآن مايُعلم معناه ؛ حتى الرسول - صلى الله عليه وسلم- لو سألته إيش معنى"بل يداهُ مبسوطتان" يقول: ما أدري. إيش معنى"على العرش استوى" يقول: ماأدري.

طيب أنتَ يامحمد تقول: إنَّ اللهَ ينزل إلى السماء الدنيا" إيش معنى ينزل؟ إيش يقول؟ ما أدري.

طيب أنتَ تقول: "يضحك ربُنا إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر" إيش معنى يضحك؟ قال:ما أدري.

.....هل هذا معقول؟ ولهذا يقول شيخُ الإسلام:إن هذا القول قدحٌ في القرآن والأنبياء صح ولا لأ؟ أي نعم صحيح.

أنا الآن لو أسأل واحد منكم إيش معنى قول المؤلف كذا وكذا؟ تقول: والله ما أدري هل هذا يحط من مرتبتك ولا لأ؟ يحُط بلاشك من مرتبتك ؛فإذا كانت الرُسل تقول

ماتقول من الوحي فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وهي لاتدري معناها معنى ماتقول فهذا من أكبر القدح في الأنبياء- عليهم السلام.

المتن

إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىً وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نُزل إليهم وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته... لا يعلم أحد معناه فلا يُعْقل ولا يُتَدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع؛ الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يناقض ذلك؛ لأن تلك النصوصَ مشكلة متشابهة، ولا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به، فيبقى هذا الكلام سدًا لباب الهدى والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدى والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأننا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. أهـ كلام الشيخ .وهو كلام سديد من ذي رأي رشيد، وما عليه مَزيد - رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم.

الشرح

أظن واضح الكلام ؛حتى هذا يفتح باب الإلحاد؛ لأن الملحد يقول:لايُمكن أن تستدلوا عليَ بكلامٍ لاتدرون معناه ؛وأنا أستدلُ عليكم بعقلي ورأي. ثم يقول:إن من يقول إن المعنى كذا خيرٌ ممن يقول لا أدرى .ولهذا اشتبهت هذه المسألة على بعض الناس وقال تلك العبارة الصادقة الكاذبة: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم هذه العبارة صادقة كاذبة صادقة في الجملة الأولى وكاذبة في الجملة الثانية.إيش الجملة الأولى؟ طريقة السلف أسلم بلا شك.طريقة الخلف أعلم وأحكم هذه من أكذب مايكون من الكلام ؛ ليش؟ أولا-هذه الكلمة متناقضة كيف يقول هذه أسلم والثانية أعلم وأحكم؟ ومتى تكون السلامة؟ تكون السلامة في العلم والحِكمة.لايُمكن أن يسلم الجاهل أبدًا ولايُمكن أن يسلم السفيه أبدًا ،بل إن تنازلنا وقلنا لايُمكن أن يكون الجاهل أسلم من العالم ؛ولا السفيه أسلم من الحكيم صح ولا لأ؟ هذا غيرُ ممكنٍ.

فأنتَ إذا أقررتَ بأن طريق السلف أسلم لزمك أن تكون طريقة السلف أعلم وأحكم. ثانيًا-أن تقول: بأي وجهٍ قلتم بأن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؟ السلف الرسول-عليه الصلاة والسلام-والخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهَدي والحق ؛كيف يكون طريقة الخلف أهدى من هذا وأعلم وأحكم؟ هذا ممكن؟!! يعني يمكن تقول أنت يارسول الله , أبوبكر , عمر , عثمان , عليّ الصحابة كلهم طريقة مَنْ يأتي من هؤلاء المعتزلة والنُظار أعلم وأحكم منكم؟ هذا معقول؟ هذا أبدًا غيرُ معقول.

ولو أن إنسانًا ثبت على هذا لأخرجناهُ من الإسلام لأن هذا من أعظم القدح في رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه أن يأتي كما قال شيخُ الإسلام: أفراخ الصابئة والمشركين واليهود والنصارى ثم يُقال هم أعلمُ وأحكم مِنْ مَنْ؟ من الرسول-عليه الصلاة والسلام وأصحابه فيما يتعلق بأسماءالله وصفاته؟ هذا شيءٌ مستحيل. المهم أن هذا القول وهو التفويض وأرجو أن تنتبهوا له لأنكم ربما تجدونه في كتب علماء أجلاء في أعيُننا وأعيُنكم يُطلقون مثل هذه العبارة "طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم"وهم لو علموا مقتضى هذه العبارة و مستلزماتها ما قالوها أبدًا لكن قد تندرج على ألسنتهم من غير تروٍ وتمهُلٍ ويأخذها الآخرعن الأول. وإلا لو تأملوها لوجدوها متناقضة باطلة يلزم عليها لوازم فاسدة ونحنُ نرميهم بدائهم نقول: زعماؤكم ورؤساؤكم ماذا كان منتهى أمرهم؟ إيش؟ الحيرة والقلق والشك. قال بعض العلماء وأظنه الشافعي "أكثرُ الناسِ شكًّا عندَ الموت أهلُ الكلام" اللي يقول هؤلاء إنهم أعلم وأحكم نقول تفضلوا هذا الرازي من رؤسائكم ماذا يقول؟ يقول:"لقد تأملتُ الطرقَ الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تُشفي عليلاً ولاتروي غليلاً ورأيتُ أقربَ الطرقِ طريقةَ القرآن أقرأُ في الإثبات "الرحمنُ على العرش استوى", "إليهِ يَصعدُ الكلمُ الطيب" وأقرا في النفي "ليس كمثله شيءٌ" , "ولايُحِيطُونَ بهِ عِلْمًا" ومَنْ جرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي". ا.هـ

شوف هذا الكلام الجيد وهو دليلٌ واضحٌ على أن أهل الكلام لاينتفعون بكلام؛ لاتشفي عليلا ولاتُروي غليلا. وكان قد قال متمثلا أو مُنشِدًا ثلاثة أبياتٍ متمثلا بها أو مُنشِدًا يقول:

نهايةُ أقدامِ العقولِ عِقالُ .....وأكثرُسعيِ العالِمينَ ضلالُ

وأرواحُنا في وحشةٍ من جُسُومِنا .....وغاية دُنيانا أذىً ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طولَ عُمْرنا .....سِوَى أن جمعنا فيهِ قيلَ وقالوا

صارت عباءة الدرويش مُرقعة بكلِ لونٍ... وإلا كُف الدرويش فيها من كل طعام قيل كذا وقالوا كذا.